*كلية الآداب واللغات*

*قسم اللغة العربية*

*محاضرات الأدب المقارن*

*الأستاذ  شيراني محمد*

*السداسي الرابع دراسات أدبية و دراسات لغوية*

1. *المؤثرات الغربية في شعر السّياب*

:يعدّ هذا الموضوع ذات الأهمية البارزة في ميدان الأدب المقارن وتعود أهميته للأمور التالية

1-ريادة السّياب للشّعر العربي المعاصر.

2-العناصر الجديدة التي حملها السّياب في قصيدته الشّعرية.

3- التّجلية كثيرا منه الغموض وطبيعته في القصيدة المعاصرة.

4-الوقوف على قدرة القصيدة العربية في احتواء العناصر الشّعرية الغربية.

جاء السّياب الى ساحة الشّعر والقصيدة العربية تعيش ازمة. هذه الأزمة تمثّلت في نهاية الرّومانتيكية العربية. وبداية مرحلة جديدة اتّسمت بالرّوح الواقعية.

تراجع المدّ الرّومانسي أمام ضربات الواقع العربي وأحداثه المتسارعة .

أدرك السّياب بحكم رؤيته الشّعرية. وبحكم تكوينه الفكري والسّياسي. بضرورة العودة للواقع والالتحاق بقضايا أمّته ووطنه. وكان السّياب في هذه الفترة يبحث عن الأساليب الجديدة التي تمكنه من الارتقاء بالشّعر وأساليبه من جهة ،وبأن يكون ملتزما بقضايا الواقع من جهة اخرى.

وجد السّياب ضالته في الشّعر الغربي الذي كان قريبا منه ،وذلك بحكم درايته باللّغة الانجليزية ، وكانت أشعار "اليوت" و "اديت ستويل" انتشرت انتشارا كبيرا في الأوساط الشّعرية ، وكانت مجلة "شعر" تقدم هذه الأشعار وغيرها ، فلم يكن صعبا على شاعر كالسّياب الاطلاع الواسع على هذه الأشعار.

يلتقي السّياب مع الشّاعرين السّابقين في الوسيلة وان كان يختلف عنهما في الرّؤية الفكرية.

بدأ السّياب رحلته الشّعرية من خلال انتمائه للحزب الشّيوعي وايمانه بالواقعية الاشتراكية ، وهنا يفترق عن الشّاعرين وخاصة "اليوت" الذي كان موضوعا عند الماركسيين بالشّاعر "الرجعي" لكن السّياب يلتقي مع هؤلاء في الأساليب الجديدة الشّعرية وهذا ما يهمنا بالدرجة الأولى.

أدرك "اليوت" سقوط الحضارة الغربية وخلوها الرّوحي ، ورأى ان الخلاص لا يكون الا بالنّعمة اللاهية والقيم

:"الكاثوليكية" وقد تجسد هذا في ثلاثيته وقصائده المشهورة

"الأرض الخراب" و "الرّجال الجوف" و"الأربعاء الرّماد" وغيرها.

أما "اديت ستويل" فهي تؤمن بمسؤولية الانسان في سقوط هذه الحضارة ، غير أنها لا ترى خلاصا في أي مؤسسة دينية كانت أو تاريخية ، وتصل الى حد الكآبة المفرطة و التّشاؤم المطلق.

وهما هنا يعبران عن الواقعية النّقدية التي انتشرت في أوروبا الغربية. أما السّياب فهو يمثل كما قلنا الواقعية الاشتراكية ، ولكن هذا لم يكن ليمنعه من الاستفادة من تقنياتهما في التّعبير.

اطّلع السّياب على الأساليب الجديدة عند الشّعراء ،خاصة باستخدام الرّموز الأسطورية، فقد أعجب أشدّ الاعجاب بهذه التّقنية فأدخلها الى قصائده ونشرها بين الشّعراء العرب الآخرين ، وكان له فضل كبير في هذا.

من خصائص الرّموز الأسطورية أنه يخلّص الشّاعر من الذّاتية المفرطة من جهة، ويبعده عن الأساليب المباشرة التّي كانت سائدة في القديم، وعليه فهو يشكل بؤرة توتر تشع دلالات، وتعطي القصيدة توازنها النّفسي والفنّي المطلوبين.

وقضية السّياب هي حلقة في سلسلة من تاريخ شعرنا الحديث بدأت بأمين الرّيحاني و "ولت ويتمان" وجبران و"وليام بليك" و "اليوت" و "الحركة التمرزية" و السّياب منها.

اعتمد السّياب في أساليبه اعتمادا كبيرا على الشّعر الغزلي ، فهل هذا يعني أن القصيدة عنده لم تعد تعتبر عن أصالة ، وأنها غربية عن الشّعر العربي ؟

الجواب هو أن القصيدة العربية أبانت عن قدرتها على احتواء هذه العناصر الجديدة وصهرها وتحويلها تدريجيا الى أساليب عربية. بل يمكن القول أنه لولا هذه العناصر الجديدة ما كانت القصيدة العربية لترسم طريقها نحو الحادثة والتّطور، وهي من جهة أخرى نبهت الشّعراء على ما في تراثنا من قيم نقدية وشعرية لم نحسن استغلالها.

:نماذج للمقارنة

قصيدة السّياب "رؤيا فركاي" توضح تأثر السّياب بتقنيات "اليوت" و"ستويل" ، وهو يعالج موضوعات شبيهة بموضوعات ستويل ، وهو يضمن قصيدته بعضا من أبياتها معتمدا على الثّقافة والتّاريخ والأسطورة.(1)

والسّياب في تعامله مع الأسطورة لا يقتصر على التّراث اليوناني والاسلامي لإعطاء شعره بعدا انسانيا عاما كان يفعل "اليوت".

فالمسيح و تموز كثيرا ما يردان في القصيدة الواحدة أو يتجاوران في السّطر الواحد ، كما في "رؤيا في عام 1956" (صالبا عيني تموزا مسيحا)

وقد تجلت هذه النّزعة بشكل واضح في قصيدة "المسيح بعد الصّلب" ،وكذلك في "مدينة السّندباد" التي يقول فيها مشيرا الى رمز "عشتار"

هذه النّزعة في أوجها في قصيدة المسيح بعد الصّلب ، وكذلك في "مدينة السّندباد" التي يقول فيها مشيرا الى رمز عشتار :مفردة

خيّل للبياع أنّ ربّة الزّهر

عشتار قد أعادت الأسير للبشر

وكلّلت جبين النّضير بالثّمرة

خيّل للجياع أن له هو المسيح

أزاح عن منحنى المجر

فسار يبعث الحياة في الضّريح

ويبرّئ الأبرص أو يجدّد البصر

واذا كان التّضمير مشتركا بين اليوت وستويل وهو من أهم تقنياتهما الشّعرية فان استدارة الرمز الموسع ألصق بستويل :وأسلوبها الشّعري ، نلاحظ كيف تقرب الرّجل الغني يهوذا في قصيدتها "عادات شاطئ الذّهب"

أيها الرّجل الغني يا يهوذا

أيّها الأخ تاجيل،

الأغنياء هم ديدانك التي تخرج الى الهواء

من خلال فوراثها من دماغك،

يا يهوذا المتعفن في كفن جسمك الهرم

لا تزال غير ميت كالدّوء

 حيث تضطجع بلا جسد للدّفء لا شيء

غير الذّهب للجسم والدّفء والثّوب،

الآن أنت بلا جسد، أيضا كهؤلاء

الذّين يتضورون جوعا ويرتجفون

صلب في ذهنك كشارع جهنم المركزي الضّخم

وهل ظلمة نار الجحيم الكونية باردة الى هذا الحدّ

والسّياب لا يكتفي بالتّضمين الرّمزي ليهوذا بل يتعدّاه الى تقمص شخصية الصّلوب في قصيدة "المسيح بعد الصّلب" أو يستخدم الاستداريات الرّمزية في مواضع أخرى شأن ستويل مستعينا تارة بالفصين الذّهبي المترجم وأخرى بالرّموز التّوراتية عبر لهجته الانجليزية.

نستشهد باستدارة رمزية موسّعة لستويل تتحدّث فيها عن آثار الاسقاطات الذّرية على الانسان في قصيدتها "ظلّ قابيل" الّذي حاكاها السّياب في "رؤيا فوكاي" ، فالشّاعرة في هذه الاستدارة تقابل بين العازر رمزا لموتى الذّرة في العصور

راجع القصيدة في الدّيوان .المجلّد الأول. دار العودة بيروت 1986 :(1)

الحديثة ويقيس رمز الغنى الفاحش الذي يمتهن الدّمار والموت ثم المسيح الذي يسير على بحار من الدّم في عودة يائسة ليرفع البشرية من بين الموتى.

:تقول من القصر الأخير للقصيدة

وبدأ الخليج الذي انشقّ عبر العالم

كأنّ أسرة كل المحيطات

قد فرغت.. وعرّيت فاغرة فاها صوب ما عرف حرة بالشّمس،

كفّاه المجاعة الكونية،

تمتحنك الأرض من كل الأطراف

وفي ذلك التّجويف يرقد جثمان أخينا العازر

مبعثرا من قبر العالم

انه يرقد في ذلك الموت الكبير كالذّهب

في فلذّات الأرض

ومن حوله يرقد النّبر كبروق مصروفة

انه لسن جراح العالم

ثم أتت الى ذلك البحر الأجوف

حضارة المشوّهين، وحياة البرص أتت كما في الماضي

الى المسيح قرب بحيرة طبريا

لقد أحضروا معهم دهور العمى وليل العالم

!صائحين به أيها العازر امنحنا البصر

أنت يا من جراح من ذهب أيها النّور الجديد للعالم...

أيها العازر لقد عرفنا من أجل كل الحب قبلة الشّمس العظيمة

على الخدّ الّذي ليس له عاطفة .لقد أتى للكلب النّاب والأسد المخلب

تلك المجاعة التي أعطت الأيدي العاطلة وألغاه الفارغ

أتى الى الورقة الدّاخلية للقلب المسنّ

يتكلّم عن مسيحنا وحبّ ذهبي

ولكن تمسّنا قد أغلب فهل يأتي ذهبك بالدفء

للشّفاه البارة والحصاد للأرض العقيمة؟

عندئذ حضر "ديقيس"... كان يرقد كشمس برصاء

مغطاة بجراح العالم برص الذّهب

يغلف العالم الذي هو قلبه

كسنبلة كبيرة ممتلئة بالحبّ

أفسدها المطر الأبيض...

لكل نيران العالم نصرخ في ديقيس

قصيدة "ظل قابيل" لستويل تتحدث فيها عن أثر لإسقاطات الذّرية على الانسان التي حاكاها السّياب في "رؤيا فوكاي" الشّاعرة في هذه القصيدة تقابل بين العازر رمزا لموتى الذّرى في العصور الحديثة وديقيس رمز الغنى الفاحش الذّي :يمتهن الدّمار والموت ثم المسيح الذي يسير على بحار من الدّم في عودة يائسة ليدفع البشرية من بين الموتى .تقول منها

وجد الخليج الذي انشق عبر العالم

كأنه المرة كل المحيطات

قد غرقت... وعرّيت فاغرة فاها صوب ما عرف مرّة بالشّمس،

كفّاه المجاعة الكونية،

تتحكّك الأرض من كل الأطراف

وفي ذلك التّجويف يرقد جثمان أخيتا العازر

مبعثرا من قبر العالم

انه يرقد في ذلك الموت الكبير كالذّهب

في فلذات الأرض

ومن حوله يرقد التّبر كبروق مصروفة

انه بلسما جرّاحا العالم

ويرقد الذّهب في فلذات الأرض الخشنة

كحب اللّوز خلف قشوره المزغّبة

كثمر البندق في قشره القرميدي

والجوز في ثماره الخضراء المرّة،

ثم أتت الى ذلك البحر الأجوف

حضارة المشوهين، وحياة البرص أتت كما في الماضي

الى المسيح قرب بحيرة طبريا.

:الخلاصة

تعدّ هذه التّجربة وتجارب أخرى قادها الشّعراء الآخرون البنّه التي قام عليها صرح الشّعر العربي المعاصر، وأثبتت قدرة القصيدة العربية على الانفتاح والتلاقح مع التّراث العالمي.